تفسير النسفي

(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)

تأليف

أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي

« ت ٧١٠ هـ »

حققه وخرج أحاديثه

يوسف علي بديوي

راجعه وقدم له

محيي الدين ديب مستو

الجزء الأول

دار الكلم الطيب

بيروت

الطَّبعَة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار الكلم الطيب دمشق - حلبوني - شارع مسلم البارودي - هاتف ٢١٢٩٨٨٦ ص.ب ٣٠٥٥٢

بيروت. ص.ب: ١١٣/٦٣١٨

وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ

حركت الميم لالتقاء الساكنين. واختيرت الفتحة لفتحة ما قبلها.

١٤٣ ـ ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾ خوطب به الذين لم يشهدوا بدراً، وكانوا يتمنّون أن يحضروا مشهداً مع رسول الله ﷺ لينالوا كرامة الشهادة، وهم الذين ألحوا على رسول الله ﷺ في الخروج إلى المشركين، وكان رأيه في الإقامة بالمدينة. يعني: وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه، وتعرفوا شدّته ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ أي: رأيتموه معاينين، مشاهدين له حين قتل إخوانكم بين أيديكم، وشارفتم أن تقتلوا. وهذا توبيخٌ لهم على تمنّيهم الموت، وعلى ما تسبَّبوا له من خروج رسول الله ﷺ بإلحاحهم عليه، ثم انهزامهم عنه. وإنما تمنّوا الشَّهادة لينالوا كرامة الشهداء من غير قصد إلى ما يتضمنه من غلبة الكفار، كمن شرب الدواء من طبيب نصراني، فإن قصده حصول الشفاء، ولا يخطر بباله أن فيه جرَّ منفعة إلى عدو الله، وتنفيقاً لصناعته.

١٤٤ ـ لما رمى ابنُ قميئة رسولَ الله ﷺ بحجرٍ فكسر رَبَاعيَته، أقبل يريد قتله، فذبَّ عنه مصعب بن عُمَيْر، وهو صاحب الراية، حتى قتله ابن قميئة، وهو يرى أنه رسول الله ﷺ. فقال: قتلتُ محمداً. وصرخ صارخ ـ قيل: هو الشيطان ـ: ألا إنَّ محمداً قد قُتِل، ففشا في الناس خبر قتله، فانكفؤوا. وجعل رسول الله ﷺ يدعو: «إليّ عبادَ الله» حتى انحازتْ إليه طائفة من أصحابه، فلامهم على هربهم، فقالوا: يا رسول الله! فديناك بآبائنا وأمهاتنا، أتانا خبرُ قتلك فولّينا مدبرين، فنزل[١]: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ فسيخلو كما خلوا. وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم، فعليكم أن تتمسّكوا بدينه بعد خلوّه؛ لأن المقصود من بعثة الرسل تبليغ الرسالة، وإلزام الحجة، لا وجوده بين أظهر قومه ﴿أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة التي قبلها على معنى

---

(١) قال ابن حجر: هذا منتزع من عدة أخبار في وقعة أحد (حاشية الكشاف ١/ ٤٢١).

وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا
كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ
مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ
قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟

التسبيب، والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلوّ الرسل قبله سبباً لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت، أو قتل، مع علمهم أنَّ خلو الرسل قبله، وبقاء دينهم متمسكاً به يجب أن يجعل سبباً للتمسُّك بدين محمد ﷺ لا للانقلاب عنه. والانقلاب على العقبين مجاز عن الارتداد، أو عن الانهزام ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ وإنما ضرّ نفسه ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ الذين لم ينقلبوا. وسمّاهم شاكرين لأنهم شكروا نعمة الإسلام فيما فعلوا.

١٤٥ ـ ﴿وَمَا كَانَ﴾ وما جاز ﴿لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بعلمه، أو بأن يأذن لملَكَ الموت في قبض روحه. والمعنى: أن موت الأنفس محال أن يكون إلا بمشيئة الله. وفيه تحريضٌ على الجهاد، وتشجيع على لقاء العدو، وإعلام أن الحذر لا ينفع، وأن أحداً لا يموت قبل بلوغ أجله وإن خاض المهالك، واقتحم المعارك ﴿كِتَـٰبًا﴾ مصدر مؤكد؛ لأن المعنى: كتب الموت كتاباً ﴿مُّؤَجَّلًا﴾ مؤقتاً له أجل معلوم لا يتقدم، ولا يتأخر ﴿وَمَن يُرِدْ﴾ بقتاله ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: الغنيمة. وهو تعريضٌ بالذين شغلتهم الغنائم يوم أُحُد. ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ من ثوابها ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: إعلاء كلمة الله، والدرجة في الآخرة ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله، فلم يشغلهم شيء عن الجهاد.

١٤٦ ـ ﴿وَكَأَيِّن﴾ أصله أيّ، دخل عليه كاف التشبيه، وصارا في معنى كم التي للتكثير. وكائن بوزن كاع حيث كان، مكي ﴿مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ﴾ ﴿قُتِلَ﴾: مكي، وبصري، ونافع ﴿مَعَهُۥ﴾ حال من الضمير في قتل، أي: قتل كائناً معه ﴿رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ والربّيون: الربانيون. وعن الحسن بضم الراء، وعن البعض بفتحها، فالفتح على القياس؛ لأنه منسوب إلى الرب، والضم والكسر من تغييرات النسب ﴿فَمَا وَهَنُوا۟﴾ فما فتروا عند قتل نبيهم ﴿لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا